الآن..؟!

لمَ لا..

سنابل الكتاب

٥ ش صبرى أبو علم
باب اللوق - القاهرة

الإدارة:
(+٢٠٢) ٢٣ ٩٢ ٦٥ ٩٣
(+٢) ٠١٠٠١٠٩٤٣٠٢

المكتبة:
(+٢٠٢) ٢٣ ٩٣ ٥٦ ٥٦

E-mail
Sanabil_bookshop90@yahoo.com
Ahmed_mmorgan@yahoo.com
Face: sanabil bookshop

المدير العام
أحمد مرجان

مؤسسة الطويل للنشر والدراسات
٠١٠٠١٥٠١١٤٥
web.:www.altawiel.com
e-mail: m_altawiel@yahoo.com

اسم الكتاب:
الآن..؟!
لم لا..

المؤلف:
رضا الطويل

التدقيق:
عادل سميح

الغلاف:
محمد سيد حسن

الناشر:
سنابل الكتاب

الطبعة الأولى ٢٠١٨

رقم الإيداع: ١٥٦١٣ / ٢٠١٨

الترقيم الدولي: 978-977-5255-43-3

حقوق الطبع محفوظة

شعر

الآن..؟!
لمَ لا ..

رضا الطويل

(.....)

الآنَ عرفتُ حقيقةَ دنيانا

ولأنِّى أُحبكِ سوف أُسرُّ إليك بسرِّ الكون

وسرِّ النبضِ الدموىّ بغصن الزيتونْ

وحنانِ العينِ

وشوكِ الوردِ المسنونْ

وأُسرُّ إليك بسرِّ الإنسانِ

الصامدِ فى وجْهِ اللـهِ

المتعذِّب فى نارِ الحزن المتناهى

وأسرُّ إليك بسرِّ الكلماتْ

وكأنِّي أجيبْ

لماذا أحبُّكِ بالذاتْ

موت حارس بوابة

(موت هريدى)

(1)

لا يذكرُ الباب العتيق

وليس يذكر الخشب

ليلاً مريبًا مثل هذا الليلِ

عافتْه النجومْ

حَلَب النهارُ سوادَهُ

من بينِ أثداءِ السحبْ

وتجمَّدت فى بردِه جثثُ الغيومْ

....

لليل موسيقى الإثارةِ والخَطَرْ

وتَلَفْتت عيناهُ

(شاشة الأفلام)

مألوفةٌ كلُّ المشاهدِ للنظَرْ

فلماذا يأسَى قلبُه

متوجِّسًا

حمْحَماتِ الموتِ فى دفْقِ المطرْ

....

ليلٌ أتى،

سيمرُّ،

مرَّ الليالى الأخرياتِ

المسرِعاتِ

الصَّاعداتِ

خلفَ ما يُعمى البصرْ

البابُ فى هلعٍ .. يرَى

يُصْغِى

ويهمس:

صاحبى.. خذِ الحذَرْ

النورُ فى بعضِ الليالى

لا يدومْ

حتى بصيصات الشُّهبْ

ترتدى كفنَ المنايا

وتندثرْ

(2)

فرشَ ابتسامتَه هريدى –

فى اتجاه القِبلةِ الأخرى –

مصلَّى

جالسًا صلَّى

- مثلما فى كلِّ ليلٍ

بامتثالٍ وخشوعْ

وتلا الآياتِ فى صوتٍ خفيضٍ

قبلَ أن يجثو بهامتهِ المديدةِ مُومئًا

بالركوع

حمدَ اللـهَ، وبسْمَلْ

وعلى عُقَل اليدِ حوقلْ

(اطمأنَ القلبُ بالذكرِ، وارتاحَ الضميرْ)

وتأملْ

بعيونٍ غاشياتٍ

ترتعُ الأفيالُ فى مرعى السَمَاواتِ المطيرْ

حمدَ اللـهَ القديرْ

واقشعر الجسمُ بردًا وتَذَكَّرْ

من سنين هجرَ الطفلَ الصغيرْ

وامتطى الفرسَ الكبيرْ

....

انحنى – بعدَ الصلاةِ

ينفخُ الخشباتِ

فى الموقدِ مراتٍ

ويسْعُلْ

ودخانُ الحرقِ يعلنُ مقدمَ النارِ

لتدفئَ

أو

لتقتُلْ

هو لا يدركُ شيئًا

لا يُفكِّرْ

ينحنى

ينفخُ

يُشعلْ

آهِ هل يجدى العناءُ المستميتُ

كلُّ ما يحيا على الأرضِ

يُميتُ

(3)

يحتسى شايَ السكينةِ

بهدوءٍ

وفتورٍ

وسلامْ

راشفاً كوبَ الأمانى

بانسجامْ

مُستَلِذًّا بالخيالاتِ القديمةِ للغرامْ

[أرجُو] رماد الشوقِ يُخفى الجمرَ

فى صدرِ عجوزٍ مُستهامْ

- كم من سنين خابياتٍ لا تُعدُّ

بيننا بحرٌ من صبا الدنيا عميقٌ لا يحدُّ

فلماذا تحرق الروح الشجونْ

[أرجُو] هناك على مدى القارَّةِ

- خط الاستواء

[أرجو] هنا.. تحت المساء تُظلُّها نفسُ السماءْ

يَخُطُها كُحلُ العيونْ

....

- [أرجُو] أيا بلدى البعيدة

والقريبةَ فى دمى

موطنى

مرعى صباى

ومُرتجاى

عروسَ أحلامى بمنفاى

[أرجو] أيا بلدى المقدَّسةَ الجميلةَ

بيننا فى الهجرِ عشْراتِ السنين

بيننا هذى المسافات التى تبدو طويلةْ

بين شَيبى... صباى

تذبلُ الأزهارُ فى حقلِ الكهولةْ

مرتعُ العشاق فى الغابات [أرجو]

عفةُ الحب اختلاسٌ

نسرق القبلَ المهذبةَ القليلةْ

خلف أشجار الحياءِ

كيف يا [أرجو] تصيرين بلادى المستحيلة!

ولّى من عضدى الصبا رحلَ التعافى

تاركًا جدب أماسِىَّ الثقيلةْ

وأعيشُ فى وهمِ البطولةْ

....

أرجو، أدفئيني

لن تفيد النارُ فى فخَّارِ مدفأتى

بردَ أعطافى

وأيامى الذليلةْ

أدفئيني

أنت أمى

هل تناسيتِ وجودى فى اغترابى

لـمَ يا أمى تصيرين على بُعدى بخيلةْ

لم أعد أقوى على العودةِ

يا أرضَ المحاياةِ

فسِيقانى عليلةْ

شاخصًا أهفو إلى طيبِكِ لكنْ

لم يعد باليدِّ حيلةْ

....

(4)

النارُ لا تُؤتمن

لا تشعلِ النيرانَ قُربَ البابِ نعسانا

فالنارُ تكره أن ترى إنسانا

يغفو بمقربةٍ

فتشبُّ قامتُها القصيرة فوق أعوادِ الخشبْ

وتطلُّ فى كل اتجاهٍ

كل صوبٍ

إن لم تُلاحْظُها عيونُكَ

أحرقتْكَ باللهبْ

وهريدى غافٍ

لم يُلاحظْ أنها

شبَّت بحقد ملتهبْ

وأفاق

يا هولَ اللظَى

ويلاه من شررِ الغضبْ

يا هولَ ألسنةِ الحريقِ

يا هول.. بَدَنى.. يحترقْ

الغوثَ

هل لى من صديقٍ يقتربْ!

نبحثْ كلابُ الحىِّ ذعرًا وعَوتْ

لا شخص يصغى

ما من ظلٍّ

مرَّ

يجتاز الطريق

لا أحدْ

كلَّ الرجالِ على الأسِرَّةِ هاجعةْ

للدفءِ فى الفَرْش الوثيرْ

وهريدى تأْكُلُهُ النيران الجائعة

ويستغيث صراخُه

ما من مُعينٍ

أو نَصيرْ

(5)

الصباحُ

شلالُ دموعٍ بيضاءْ

وثلاثُ شموعٍ سمراواتِ

جلسن أمام البوابةْ

ويُدار البابُ ككلِّ صباحٍ برتابةْ

والشمسُ غيومٌ صفراءْ

وهريدى يُنازعُ بالعنبر

الفحلُ الأسودُ مطويٌّ

فى طىِّ غطاءٍ وغطاءْ

وكلاب الشارعِ لم تنبحْ

فى هذا الصُبحِ.. و لم تمرَحْ

فهريدى يموتْ

بالفعلِ يموتْ

والمالكُ يبحثُ عن بوَّابٍ آخرْ

غير هريدى المرحومْ

والنورُ غيومٌ بغيومْ

والزهرُ حزينٌ لم يتَفَتح بالبرعمْ

وهريدى يرقدُ لا يفهمْ

أن البوَّابَ الطيبَ ماتْ!

1966

صراع الأجيال

عينُ أبى

مستنقعُ أحقادٍ آسِنْ

وجهُ أبى

منحوتٌ من صخرٍ أصفرْ

جبهته جدارْ

ودمارٌ يزحفُ فى كفيهْ

ذاتُ أبى

ذاتُ هولاكو

عيناه أراها فى عينيهْ

صوتُ أبى

إنذارُ خطر

أو كنت أبى؟

بتحدٍّ ينشبُ فى الكفنِ؟

لتمد زمانَك فى زمنى

أم أنا دمية؟

صنعتها المتعةُ فى ليلة

وأذلّك ناموسُ البشر

بالسوطِ الطّاغى لتقذفنى

لعوالمِ حقدِك يا أبتى

لحديقةِ شوكٍ مسنونٍ

لطريقٍ جدبٍ لا يُجدى

لوجودٍ أعمى

أتعرفُنى؟

أشُكُّ بأنكَ تعرفنى

وجهى..

عيناى..

ما لونى؟

ذاتى المشحونَةُ بالشَّجنِ

أو تبعد مرآتك عنِّى .

لن أتبددْ

لست السيدْ

أنا سيدُ ذاتى، وكيانى

ينصبُّ لمجهولٍ مقبلْ

للمستقبلْ

لا أملَ حُلو يناديني

وكتابى الصَّامتُ أغلقهُ

لم تقرأْه

أبدًا ، وطويتَ الصفحاتْ

لن تقرأَهُ

ويعادُ بذلك ما فاتْ

وانقطعت فورًا أصفادٌ

ذهبيةٌ كانت تربُطنا

وتسلسلُ عنفِك فى نفسى

كالنهرِ الهادرِ يتوقفْ

وهولاكو بأغورِ أعماق

حرقتْهُ نيرانُ الإلحادِ

أشعلت لفائفَ إنجيلك

لن أُسدى إليك الصلواتِ

فلماذا ببغضك تكرهنى؟

وعيونُكَ تبصقُ فى وجهى

بصقاتِ الحقدِ السوداءْ

ألأنى لستُ المستقبلْ

لإرادة شاختْ مسعورةْ؟

ومقتُك مقتٌ للموتِ

وتموتُ الرغبةُ مقهورةْ

وبقاؤك رهنٌ بسنينك

لن تنقلَ عَبرى إلى المقبلْ

لذا تكرهنى؟

إذن اكرهنى

لن أغزو الغدَّ لتتجددَ

فى الزمن

مشيئةُ سلطانِك

وجهُ أبى

أبخرةُ ضبابٍ ستزولُ

تنْقشعُ

ليشرقَ سُلطانى.

1962

الزهورُ تتفتح أوائلَ الربيع

(1)

فى البدء كان حبُّنا نُبَيْتةَ القلقْ

تمدُّ جذرَها الغريرَ فى بوادرِ الحنينْ

وكان شوقُنا نطفتىْ جنينْ

أو حبتىْ عرقْ

لم يُجمعا على جبينْ

نما

نما القلقْ

تعانقتْ قطرتا العرَقْ

وأنجبَ الجنينْ

....

(2)

- أسعدْتنى ..

- لكننا سنفترقْ!

- أسعدتنى ..

- يا بهجةَ العيونِ كلُّ شىءٍ رائعٍ سيحترقْ

- أسعدْتنى

- ما أتعسَ الأحلام ليلة الأرقْ

توهج الحنينِ للسرابِ فى مفاوزِ الشبقْ

دخان ذكرياتنا يعبقُ الأفقْ

وجثَّتى تنام فى بلادةِ الأنينْ

- أسعدْتنى..

- تُرى أيصدحُ النهوم دائمًا فى ساحةِ السنينْ؟

- أسعَدْتنى

- !! ؟ ؟

(3)

أنا الذى ودَّعتُه بلا رجاءْ

كأننا لا نفترقْ

كأننا على الجفونِ قطرتانِ من جوارح البكاءْ

لم تنشرا الجناحَ فرطَ قسوةِ القلقْ

وغابتا فى صفرةِ اللقاءْ

(4)

يا حيرتى

تحبُّنى؟

تحنُّ لى؟

تودنى؟

ونهرُ ذكرياتنا قديمْ

تَلفُّه سحائبُ التخومْ

وعطرُنا هناك سابحٌ على المدى

يستأنسُ الصدى

تحبُّنى؟

تشتاقُ لى؟

تريدُنى

أنا الذى ودَّعْته بلا أمل

تساقطَ الكلامُ عن عذابِه الجللْ

فغُربتى عن جسمِك السآمُ والملَلْ

(5)

أتعرفين حاجتى إلى الكثيرِ من أشعةِ الأملْ

يا طالما عُذبت عاريًا على صليب ليلْ

الهجرُ صالبى، وكأسُ حتْفىَ الكسلْ

وتنزوى على فراغ الاختصار وحشةُ الرجلْ

أصابعى

ملتاثةُ العذاب، يا عذابَ رعشةِ العضلْ .

هنا.. هنا

هناك.. أو هنا

يثيرنى عبيرُ امرأةٌ

أشمشمُ الطريقَ باحثًا

وعاويًا

وعطرُها الدفىء مغريًا

ويصخبُ المساءُ ألف دقةٍ تدقُّ بانهيال

ترتجُّ بالفضولِ أعينُ الرِجالْ

يُفتِّشون فى الطريقِ عن روائحِ الخيالْ

عن امرأةْ

تُعيدُ بهجةَ الحديثِ

والحروفِ المخْطِئةْ

(6)

يستروحُ العبير فى المساءِ قصةَ المُبادَأةْ

ولم يكن غير السآمِ فى العروقِ

والدِماءِ فى عُروق المدفأةْ

وآهةٍ مكرورةٍ تئنُّ باكتئابٍ فى سماء سيئةْ

- لا دُمتَ لى إلى الأبدْ

- لا دُمتِ لى إلى الأبدْ

(7)

فى آخرِ السطورِ كان وجهُك الحنونْ

طيبًا، كبسمةِ الملكْ

يشدُّنى بحبِّه، لا زلتُ لكْ

تحبنى!

وكان جسمُك الجليلُ دافئًا يضمُّنى

وكان شيءٌ أسطوريٌّ كالحياةِ فى مفاتنِ الوجودْ

ساطعًا فى شهوةِ الجسَدْ

يخصُّنى

ثدياك خشفا ظبيةٍ يتقَافزان فى حدائقِ الأبدْ

بعدَ الرضاعِ كان عطرُهما نداوةَ الحليبْ

منوران مثلما يفتقُ النوارُ فى الربيع وردْ

منديان بالحنانِ، مسقيَّان من سلاف شهدْ

يا فرحتى بجسمِك الحبيب!

1965

الرغبة

الليل، وذكرى محترقةْ
ودموعٌ ترجُفُ مفترقةْ
أتذكَّر كيف تنامين
والرغبةُ نابحةٌ شبِقةْ
نهداك يشبَّا فى دمه
سعرًا
أتوسَّلُ بالشفقةْ
عودى، فى الليلِ
لتُرضيه
ولتُطفَأْ فى دمه الحرْقةْ

عودى

فى الليلِ

وإن أضحَى

فانصرفى مخاصِمةً

قلِقةْ

عودى فى الليلِ

فلن نحكى

نتعاتبَ،

لن تصفو الرقةْ

سنظلُّ على الهجرِ

ونقسو

بالروحِ

فلا تدنو الشُّقَّةْ

لكنَّ الجسْمَ – كما تدرى –

لم ينسَ كما تدرى-

عشقَهْ

فخداك البضَّة تهتاجُ

والفرج بجسمى كالبقَّةْ

وستارُ ضبابٍ يغمرُنا

والدَّقةُ

تتلوها الدَّقةْ

ما أمتعَ أن نصمتَ غضبًا

أجسادًا تحنو مُلتصِقة

نتحاكى حديثًا ممتعًا

لا تقدرُ شفتانا

نُطقَهْ

الليلُ وذكرى محترقِهْ

ونثارُ ضحاكٍ مُنطلِقةْ

من خدر القلبِ ألنْ تأتى؟

والصبحُ تعودى مفترِقةْ

يا امرأةً

نهدانِ وردٌ

وشفاهٌ

وسيقانٌ نزقةْ

الفارسُ حنَّ إلى الفرسِ

هيهاتَ

ولن يلجم شَوقَهْ

والأسوأ تشتعلُ الرغبةُ

وتموت عقيمًا مُختَنِقةْ

1965

أجنحة وسلاسل

للحبِّ أجنحةٌ تُرفْرفُ فى سماءِ العمرِ تزمُع أن تطيرْ
تُصغى على الأغصانِ فى شوقٍ
وتنتظرُ الصفيرْ
مناقيرُها الحمراءُ تلقَطُ فى تملْمُلِها البذورَ مُذهَّبة
تُغرى صباباتٍ تحدِّقُ فى عيونِ أخى الصغيرْ

ما زلتَ طفلاً
تغريكَ يا طفلى اللُعبْ

فى جرأةِ الطفلِ الصغيرِ
وفى تهوُّره البرىءْ

قد سرتَ خلفَ ضفيرةٍ سوداءَ

من ليلٍ

إلى فجرٍ مضىءْ

نَّغمتَ كلماتِ الهوى العُذريِّ – ألحانًا –

وفى صوتٍ بذىءْ

غنَّيتهُ

وظللتَ تمضى خلفَها

وجعلتَ يومَك مشيَها

تتجاهلُ الضجرَ الثقيلَ إذا تمادَى بك المسيرْ

وتغنِّى أغنيةَ البنفسجِ تحت أقدام المصيرْ

فيجيبُ فى وجهٍ كوجهِكَ مُستديرْ

والبسمةُ العذراءُ تقفزُ من حنايا ثغرِها

لتضىءَ أعماقَ الصغيرْ

فنقشْتَ فوق كفوفِها

ألحانَ قيثارِ السَّحابْ

وكتبتَ فوق الظفرِ كلمة

مثلَ أفعالِ الصِّحابْ

لكنَّ أخاك

ما زال خلفَ جدارِه الصخريِّ

يبحث تائهًا عن ثقبِ نورْ

ويرتِّبُ الكلماتِ فى سِفرِ الشُّعورْ

ويضيعُ دينارُ النهارِ

بكفةِ الخاوى الفقيرْ

حتَّى إذا هبطَ المساءُ على ارتعاشةِ مُستحيلْ

ألقى بيومه فى أسًى متضاحكًا

ليضيع فى سُحبِ العبيرْ

وتراه يسخرُ هازئاً

بالنورِ

فى أفقِ الضميرْ

ويدوسُ أحلام الضياءِ

بنعلِه الواهى الحقير

ويسبُّ حُبَّك لاعنًا

وعليكَ أصبعُه تُشيرْ

غدًا ستنبحُه الكلابُ

فيذوبُ فى شجوٍ مريرْ

أعذرْ أخاكَ أخى الصغيرْ

فأخوك رغم ضراوةٍ عصفتْ

بحلمِ شبابكَ الطفل المغرّد قد يثورْ

ويذود عنكَ سهامَ ليلاتٍ

تُعادِى أو تجورْ

تَصِمُ الحبيبةَ بالفجورْ

وبرغم ضِحْكاتِ السرورِ

يعيشُ مسلوبَ السرورْ

ويباتُ يزْعُم أنه قد نامَ
كالطفلِ الرضيعِ
بلا اضطرابٍ أو شخيرْ

أرأيتَ مصلوبًا ينام على امتداداتِ الصليبْ
فى هناءٍ أو حبورْ!

أرأيتَ عصفورًا يعيشُ بلا جناحٍ
لا يطيرُ، بغير قوتْ
أخوك يقتُله القنوطْ

1963

الحبيبة تخشى الوحدة

غدًا... وقد مات

حلَّت ضفائرها

تبكيه!!

هل دمعُ الأسى يحييهْ؟!

إنى – وأقسمُ – لا تبكيه ثاكلةً

من أجل ليلِ الهوى

تبكى لياليهْ

..

أو هل يموت؟

..

من نصفِ ساعةٍ ضمَّنى

وأمالَنى تحتَ الخميلةْ

وأهاجَ فى شفتى طفولتَه

المعذبةَ الطفولةْ

وغرقتُ فى عينيهِ

أنظرُ صورتى

أنا فى عيونه طفلةٌ

حسناءُ

رائعةٌ

جميلةْ

وعرفتُ فى نبضَات روحِهِ

ما مدى

تلك الرجُولةْ

أحسستُ بالدفء المريحْ

أمامَنا

سنواتُ عُمرٍ

مستخفَّاتٍ طويلةْ

لما انتشَى

أغْرقتُ فى أنفاسِهِ

نفسى المضيعةَ الذليلةْ

وغسلتُ نهدى فى دماهُ

غسلت أعضَائى الملولةْ

وجعلتُ أقفزُ للنجومِ أجرُّها

والنهرُ دفَّاقُ السيولَةْ

شفتاه التحما على شفتى

وقال..

منعتُه كى لا يقولَهْ

الموتُ يأتينا

أفاتِنتى

فنسقط فى سهولةْ

لو قال: فاتنتى احذرى –

بالحبِّ – أيامى قليلَةْ

لو قالها

كنتُ احتفظت به

فتحتُ له فمى

فرْجى

أخبّئه

تفيده أى حيلةْ

..

لا يا جميلةْ

ما كان يجدينى الكلامُ

لكى أقولهْ

1965

سنحيا غدا

ككل مساءٍ تمرُّ عليَّ
وتطرقُ بابي بكفِّ الوجلْ
وتخشى يكونُ الغبارُ
والصمتُ .. والعنكبوتْ
تصيَّد – آسف . صوتي الطليّ
وتهمي غزيرًا سيول السكوتْ
فتأتزرُ برداءِ الحدادِ
توالي المسير البطيءَ الشقيّ

تردّدُ أغنيةً فى الهواء

موقعةً بإيقاعِ البُكاءْ

تنقّبُ ليلَ البعادِ علىّ

...

ولكننى يا صديقى الوحيدْ

مع الصُّبح أرقبُ صُبحى الجديدْ

لعلَّ خطاكَ تمرُّ علىّ

ككل مساء

...

وإن جئتنى

تحدِّثنى عن نوايا العذابْ

وآخرِ أخبارهِ

وماذا فعلت.. وأنت طريحًا على صدرهِ

ألم تبتسمْ

ألما تفلسف معنى الألم

ومعنى العذابْ

كأنّكَ تقرأ نصَّ كِتابْ

...

تزم الشفاهْ

وتخبرنى عن مآسى الحياهْ

وأن المساءَ هو مولدُك

... وعن لون بشرَتها الزاهيةْ

وعن مقلتيها

وكيف يشفُّ الحنينُ حميماً

إذا غردت

وحاولتْ تذكر لونَ العيونْ

وكم هدب زيَّن أجفانها

وطأطأت رأسَك حين فشلتَ

كأنك عشتَ ألوفَ السنين

وأُبتَ بحِملِك لى مُقْطبًا

تحدثنى ساهمًا عن تقاها

طهارةِ أعماقِها الصافيةْ

ظننتُك يا صاحبى مُسهِبًا

تصف لى طهارة أمى

وعن قلبِ أمى يدور الحديثُ

وتمتمت أنتْ

أليس غريبًا؟

تهبنى الحياة أنا... وتموت!

أليس غريبًا ؟

كسيدةٍ فى قطار عجيبْ

تودِّع طفلاً محطًا جديبًا

أليس غريبًا

تقبِّله والقطار يغيبْ

تغيب قوافله للزوالْ

وغير دخانٍ قليلٍ تزولُ

سحائبُه ورؤوسُ الجبالْ

تَرضع ثدى المحالِ الشحيح

بلا أمنياتْ

صديقى الشقىّ

وأمى أنا

أهذا الكيانُ البشوشُ النقىّ

أيأتى نهارٌ أدثره أردأ الأغْطيةْ؟

أكفِّنه أحرفى الواهيةْ؟

وعيناها.. بعد سنين قصار.. طوالٍ

تضنُّ على خاطرى بالحنانْ

تصيرُ كغيمِ الدخَانِ القديم

يعبِّقُ حولى المكانْ

برائحةٍ لا لها أى لونْ

وأبقى أنا

أأبقى أنا يا صديقى الحزينْ

لأطرق بابك كل مساءٍ بكفِّ الوجَلْ

ليعطينى صوتُك حينَ تجيبُ رنينَ الأملْ

بأعذبِ نبرةِ صوتٍ تهلّ

بأحلَك ليلٍ شحيحٍ مقلّ

وأخشى يكونُ الغبارْ

والصمتُ.. والعنكبوتْ

تصيَّدَ صوتَ صديقى الطلىّ

وتهمى غزيرًا سيولُ السكوتْ

فأأتزرُ برداءِ الحدادْ

أوالى المسير البطىء الشقىّ

أردِّدُ أغنيةً فى الهواءْ

موقعةً بعويلِ البكاءْ

أنقِّبُ ليلَ البعادِ عليكْ

وأسألُ يا صاحبي من جديدْ

متى نَسْتطيعُ نعيش الوجودْ

ونبنى القصورَ لنا فى التراب

لننعم فيها بعيشٍ رغيدْ

وإن زرْتَنى

نقولُ بصوتٍ مضىءِ النغمْ

سنحيا غدًا

خوفُنا انهزمْ

سنحيا غدًا

فحتى بدايةِ هذا الزمانْ

تعالَ نجربْ أن نبتسمْ..

1966

بدايات الزوال

...

ولن أراك

ستائرى متمزقاتٌ

عضَّها جوعُ الألمْ

والريحُ

ريحُ الخوفِ تعصفُ بالستارِ

أطاحَها

فتأرجحتْ

ما بين أسنَانِ السأمْ

...

وجهى الوحيدُ هناكَ

من خلفِ الستارِ

يغوصُ في وحلِ الشُّحوبِ

وحلِ السنين!!

أتذكرى عددَ السنين؟

أيامَنا المتلاشيات

لأنَّ شيئًا لم يخصِّبِ الطريقْ

ويُثير قلبى ليحتويه

كما العشيقُ يضم بسمَاتِ العشيقْ

كما الضياءُ الطفلُ قلبى احتواهْ

ونما هناكَ مع الحياةْ

ثم انعدمْ

...

قصاصاتُ أوراقي يبعثُرها الهواءْ

وعليها أغنيةٌ قديمةُ

لم تتمْ

لأنَّ حُبَّك لم يدُمْ

لأنَّ شيئًا كان بالماضِى

انهدَمْ

ورقُ الخريفِ أماتَه بردُ الشتاءْ

ولا ربيعْ

قلبى يموتُ هناك في فصْلِ الألمْ..

هل من رجاءْ!

...

الآن ينبؤنى الشتاءُ

بأنَّ وجهك لن يعودْ

وبأنَّ أمطارَ الفراقْ

ستجفُّ فى مجرى الجحُودْ

ما أبأسَ الأشجارَ في فصلِ الشتاءْ!

تخشنُّ أوراقًا

ويخشنُّ اللحاءْ

والريحُ

تحملُ أجملَ الكلماتِ للموتِ البعيدْ..

ثوتها مقبرةُ الجمودْ

هي لن تعودْ

ستظلُّ مطفأةَ العيونِ بلا وجودْ

أشجارُها المتخشِّباتُ بلا انتهاءْ

حتى إذا اشتَّد الشتاءْ

تجثو إلى الأرضِ اللعينةِ

بانكسارِ العاشِقةْ

تسترضى بومةً ناعقةْ

ويظلُّ وجهى الضحلُ يطمرُه السكوتْ

وجهٌ صموتْ

تضيعُ أقوى ملامحهْ

عيناه تنتظران وجهَك لو يضيءْ

ويفوحُ عطرُك حولَه قبل المجيءْ

ولن يمل من الرجاءْ

1966

الرجالُ فى المساء

من مسامِّ الجسم احتلوا تضاريسَ البدنْ

خاطوا ديباجَ الرايةِ الحمراءْ

أطباقَ كفَنْ

فسَرى الخوفُ فى خلايانا

نارًا فى هشيمْ..

ورفعْنا الرايةَ البيضاءَ أشباهَ رجالٍ

خانعينْ

فتَّشوا بؤرَ الكراتِ البيضِ

واغتالوا منها الزائدةْ

طاردوا كراتِ الدمِ الحمراءِ

فى حَوارى الأورِدةْ

زرعوا بذرةَ الرعبِ

فى مخابى الأفئدةْ

ووقَفنا صامتينْ

ذبحونا كالخرافِ الراقِدةْ..

وضعونا جثثًا طازجة

فوقَ فُرش المائدةْ

ننظِم الكلِمات سرًّا

ونُتمْتِمُ دونَ أدنى فَائدةْ

- عِشْ كما شئتَ حرًّا

من دونِ لسانْ

إن تشوَّقتْ إلى الشعرِ

فاكتبْ

عن تفاصِيلِ الكواعِبِ

والحِسانْ

قد كفَفْنا من زمانْ

عنْ ترانيمِ الأغَانى

وصراخ الغاضبينْ

واكتفينا بأحاديثِ الصَّبايا

وليالى الماجنينْ

....

فاحكِ لنا عن عنترةْ

احكِ لنا

قد كان يملك خصيتينْ

أقتين

احكِ لنا

عن حاجى بابا كان يعملُ فى مضاجعةِ النساءْ

ويفضُّ أغلفةَ البكَارةِ فى الشتاءْ

مثلَنا

ويومَ ماتْ

فى لجة الرِّياشْ

وقضيبه ما زال يشهقُ بالدماءِ

على الفِراشْ

تحشو وسائده سراويل النساءْ

عن امرأة فى رحمها دودةٌ سوداءُ تتشهَّى

إلى الفجرِ الجماعْ

كنسَائِنا

حين نرجعُ فى المساءْ

ببقايا أنفاسِ الجياعِ الخائفينْ

يخطُرْن أشبهَ بالعرايا مدنَّساتٍ بالعطورْ

وتشفُّ ألوانُ المضاجعِ بالفجورْ

وبالضِّحَاكِ الناعماتْ

كالولولاتْ

نأبى التوسُّلَ والرجاءْ

نحنُ الرجالَ المحبطِينْ

كَرهنَا رائحةَ البخورْ

نتشهَّى مومسَ فى ماخورْ

بين بصقاتِ السُّكارى

وابتذالاتِ الخمورْ

....

الليلُ يوشكُ أن يفضَّ الأغلفةْ

والفجرُ تحصدُه المناجِلُ أرغفةْ

والخوفُ يُخفى نابَهُ

فنحنُ فى الصبحِ المنيرِ

كنحنُ فى قلبِ المساءْ

نظلَّ نَرجُفُ خائفينْ!

1960

المنبع

(1)

كلُّ قيسٍ يتغنَّى لليلاه

وليلى..

لا تحبُّ ودودات الغناءْ..

دغدغاتِ الغزلِ الجنسيِّ

وإطراءَ الرياءْ..

السيفُ أصدقُ من مديحٍ..

متقنٍ فخْمِ الأداءْ

من فنونِ الشعرِ

لفحُول الشعَراءْ

قيسُ ولّى

وليلى

تعشقُ الرقصاتِ فى سوقِ الغوانى والإماءْ

(2)

حنينى إليك من ولهى

صُراخُ غريقْ

يمدُّ كفوفَه غوثًا

بأىِّ صديقْ

وموجُ البحرِ مهتاجٌ

يكشِّر عن نواجِذهِ

ويَمّى عميقْ..

أليسَ للهْفتى حدُّ

أليسَ لى سوى الجسدِ

هو فى الغربةِ اللحدُ

غطاءُ الفرش والمأوى

وممشَى طريقْ

(3)

من أىِّ منبعٍ عظيمٍ حبُّنا انسكبْ

منابعُ الكلامِ ضحلَةٌ

لا يرتوى بمائها أحدْ

من يستقى وفيرَها يموتْ

وينطوى فى ذمَّةِ السكوتْ

(4)

حبيبتى

أتعرفين ما أوَدْ

أتعرفينَ ما يودُّ جسمىَ الحزينْ

دوَّامُة الأفعالِ لو تُديخنى

انتشيتُ

والشمسُ فى جلالها تُباضعُ السنينْ

وفيما بعدْ

يأتى المغيبُ شاحباً

يُغازلُ الظلالَ

ويَستبدّ

بهيبةِ العظيمِ آسِرى

حبيبىَ الجسدْ

كأنَّنى اشتهيتْ

كأننى انتشيتُ مرةً

يلوحُ لى

ومرة رضيتْ

أطالع فى كتابِ حسرتى..

نهايتى

أليسَ لى صديقْ..

أليس لى أحدْ

أليس لى سوى الجسدْ..

حبيبىَ الجسدْ

اللحدُ والغطاءُ والفِراشُ والطريقْ

1967

الانفصال

(1)

ألفٌ

باءْ

من كتابِ العشقِ

فصل الابتداءْ..

أصدقُ الأشواقِ

شوقُ الاشتهاءْ

لغةُ الشهْوةِ أنقَى

من وضوء الكلماتْ

لاغِنِي

وأعطنى من فمِ الحبِّ هديةْ

قُبلةً تحيي أعضَائى الموات

يبتسم جسمى

وينبضُ بالحياةْ

من هَسيسِ النارِ

وجمرِ الحيويةْ..

واقتربْ أكثَر

يعزفُ الجسدانِ لحنَ النشواتْ

نغماتِ الخلقِ

موسِيقى

التلاشى السرْمديةْ

فى خلايا الكونِ

أنغامًا شَجيةْ

(2)

أرسمُ جسمكِ فى كتابِ العشقِ

وألوّنُ النهدينَ بألوانِ الرجاءْ

لا أجملَ منكِ برحم الربِّ وليفةْ

بأنوثةِ ثدى وردف الشيطانْ

ليس أحلى من حنانِ اللمسَاتْ

جسَدانا مهرجان..

يهمسُ الجلْدُ للجِلدِ بلذَّاتِ الحنانْ

يَتبادلانِ الفهْمَ

من غيرِ لسانْ

فى النصفِ الثانى من الليلِ

ختمْنا

سِفرَ الشوقِ

وبدأْنا كتابَ النسيانْ.

(3)

يا أمنيتى ..

إذا أفرغنا الشهوة والوجدْ

لم يلبثْ جسدى أن يبعدْ

وكيانى يسحبُ أذيالَه

من فوقِ النهدْ

كغريبٍ

تطردُه السلطاتُ بلا موعدْ

وكيانُك شاحبُ تغرِقه ظلماتُ المدّ

بقبابٍ بيضٍ يغمرُها طُوفانُ الخوفِ

ولفحَ البردْ

وأُطلُّ عليك..

أطلُّ من الْوَلَهِ المبعَدْ

والشوقُ يحاصرُه البعدْ

وأُجنُّ

أجنُّ

أصيحُ

أمدُّ اليدْ..

وا أسفى..

جَسدِى مُجهَدْ

وا أسفى

ظلِّى تبدَّدْ..

1967

حنين

طيفُك الوضاءُ في ليلِ حنيني
بُلَّ من عُنفِ اشتهائى بالزبَدْ
زورقى يسبحُ في حُلمِ بحارى
ثم يرسو فوقَ شطّى المتّقِدْ .

....

لحظة الميعادِ – فرحى – طيفُها
عادَ مثل اللـهِ في صمتِ الجسَدْ
برْبشَ الجفْنُ
تلوَّى الخصرُ
والصدرُ نَهَدْ

مُدت الأذرع أهلا

انفرَجَ السَّاقُ

والثغر استعَدْ

ما توانَى

- ضُمَّنى حُبًّا

وعانقنى الجسَدْ

- ضُمَّنى أكثر أهوى أن تَزِدْ

من قديمٍ وأنا أهواك لكنْ

لم تزِدْ

كان عنفُ الشوقِ يزأرُ بانفعالٍ يرتعِدْ

باحثاً عن مأوَى للحبِّ

وعن ليلاتِ رغَدْ

وهزيمُ الحبِّ في حُلقومَ المهتاجِ رعَدْ

أن متى..

عيناكِ تُرعِشنى حنانا

وحنوًّا

وتنادِينى بحقدْ

قد وضَعْنا الحُبَّ في قَيدٍ

وقيدْ

والمناجاةَ الدفينة في دمِى

أيضَا بقيدْ

والكلامَ الحلوَ في صمتٍ عميقٍ مستَبِدْ

أن متى؟

أحرفُ خرسٌ.. وحُبٌّ مُتَقِدْ.

....

ها أنا وحدِى..

وها أنتَ على البعدِ وحيدا

ما الذى يرغمُك أن تبقَى بَعيدا

وهوانا لا يُحدّ

كل ما نقدرُ نعطيهِ للدنيا جميلاً وسعيدا

زابلاً يصفرُّ في جذعِ الجسدْ

فأعِدْ جسمَك لى..

فورًا أعِدْ

نبلجُ الزهرَ العديدا.

أنا من مُرِّ اشتهائى انتهيتْ

لا أودُّ قبلَك شيئًا

لا أَودْ

زاهدًا.. أرقُب فجرى

أن تعود

1967

حكاية البنتِ الحلوة

(س . د . ج)

تفاصيلُ القصَّةِ يحكيها

بعضُ الأشخاصْ

البنتُ الحلوةُ -

أنتِ -

الولدُ المحزونُ أنا

وإشاعةُ حُبٍّ لم تعدَمْ

نبرةَ إخلاصْ

فكلانا يحبُّ ولا يعرفْ

يسْتصغِرُ هذا الإحساسْ

ويدوسُ الوردَ ولا يأبَهْ

لحديثِ الناسْ

حسنائى

أنا أعرفُ أنَّ الكلماتْ

لا تُجدى الوجدَ المصْلوبْ

مهما أبدعتُ المكتوبْ

وأحاولُ أن أخفضَ عينى

عن نجمِ عذابٍ محبوبْ...

أقسمُ لأتوبْ.

وتَمُرِّى أمامى أتجاهلُ

وأمانعُ أن أخطفَ نظرةْ

وأغالطُ قلبى معتقدًا

بعوارضِ حبٍّ كذَّابةْ

وأعاندُ أيامًا مرَّتْ

اعتدتُ أُفَكرُ برتابةْ

بالبنتِ الحلوةِ

أنتِ

فأفاجئ إسمك منتفِضًا

على كل سُطورِ الكراسْ

....

أسمعتِ كلامى حَسنائى..

أفشلُ أن أنشرَ أجنحتى

على أفق خلاصى

وأعاود رسمى بتأنٍّ

طريقى لخارج إحساسى

والحزن يقطِّع أنفاسى

لكن هيهات

في ليلة صيفٍ

أتسلَّقُ شجرِى لأعانقَ

بخيالى الطيفَ

أكتبُ أشواقى كلماتٍ

للبنتِ الحلوةِ

أنتِ

وطيورى تبحثُ وتجوبُ

عن عشٍّ يحضن أحلامى

عن دنيا

أجملَ من دنيا

ترفضُ أن توقظَ آمالى

من ليلِ محالِ

1962

مذكرات شهر نوفمبر

(1)

ليكن أخطأ حين تصدَّى للخطأْ

ليكن قنديلَ نورٍ في النهارْ

فلماذا ينطفئْ

هل يُضيرُ الشمسَ في عزّتها

ضوءَ مصباحٍ صدئْ؟!

(2)

يا خُطى الموتِ الدَّنيئةْ

يا خَطيئةْ

حملَتها بُندقيةْ

في يدٍ سمراءَ موشومٍ عليها

بحروفٍ

مُستكيناتٍ قَميئةْ

من حروفِ الأبجديةْ

إسم فلاحٍ أجيرٍ

في ثيابٍ عسْكَريةْ

عن أبيه حدَّثونا

كان مأجورًا تقيًّا

جَدُّهُ الأكبرُ شيخٌ

من أصولٍ بدويةْ

مع هذا إسم قاتلْ

صوَّبَ الموتَ سريعًا لمناضِلْ

إسمه باليدِّ وشمٌ

من أصولٍ قرويةْ

نفْسَ نقشِ الأبجديةْ

(3)

كان مِثلِي يتألمْ

كان غير الناس، غيرى

يتكلَّم

ويغنِّي بطلاقة

يرفضُ اللاتَ

وتبجيلَ الصنَمْ

هامة القمةِ تأبَى

أن تطأطئ للقدمْ

صاحَ والحشد ألوفًا

وصفوفًا تحتدِمْ

ترفعُ القبضةَ نارًا

وتواجِهُ من ظلَمْ

جندلوهُ

وهو يهتفُ

تحتَ راياتِ الأمانى

حاملاً سارى الحُلمْ

سحقوا الطفلَ الوليدْ

دفنوه بكلِّ فَمْ

(4)

دائمًا

كان يغنِّي

في ليالى الحبِّ بالدارِ الفسيحةْ

وبأطفالٍ نظيفاتٍ مليحةْ

تملأ الدارَ ثُغاءً

وغناءً

وابتساماتٍ

تشرحُ الصدرَ مُريحةْ

ويحدِّثها مليًّا

عن مراراتِ النهاراتِ الجريحةْ

وتباريح ليالٍ

مستذلاتٍ قبيحةْ

....

كان يشْدُو بالأماني

عن غدٍ

تأتي شموسٌ

من حديدٍ ينصهرْ

ومن الصلبِ

تصنعُ الأيدىَ أصنافَ الثمَرْ

ويغنِّى الصَّيف طفلاً

بين لوزاتِ السنابلِ والشجَرْ

عندما يزهو قمرٌ غيرَ القمَرْ

تتغنَّى الأرضُ للحلْمِ

وينشقُّ الحجرْ

والرغيفُ اليابسُ المبتلُّ مسحورًا

بريحان الشَّمَرْ..

يحلمُ الدودُ في المشِّ بألبانِ الصباحْ

كلُّ حزنٍ

سوف تذروهُ انتفاضَاتِ الرياحْ

....

مثلما غنّى

أُغنِّي

لونُه في الشمس لونى..

عينُه في الدربِ عينى

وعُيونى

ككُوى جُدُر السجونِ

فلماذا جنْدلَوهْ؟

ولماذا جنْدلُونى؟

وأنا وجهٌ عبوسٌ

بين ملايين الوجوهْ

لا ترَ

لا تتكلمْ

هكَذا قد علَّموهْ

هكَذا قدْ علَّموني

(5)

مسحةُ الطيبةِ والحبِّ

على وجهِكَ الميْتِ

أسطورةُ ميلادٍ جديدْ

في غد نزرعُ الشَّمسَ

على حقلٍ سعيدْ

ونغنِّي للحبورْ

وجهُكَ الغاضبُ يربدُّ كوجهِي

ويثورْ

فضعوه في الحديدْ

أو ضعونى في الحدِيدْ..

اقتلوهُ

اقتلونى

سوفَ تلتمُّ حروفُ الأغنيةْ

عندمَا تلتمُّ خلفَ الشمسِ أنهارُ الدماءْ

مثلمَا قد أعدَموهْ..

أعدموا هذا الغناء

(6)

إنى أتحدثُ من حانوتٍ بالمنصورةْ

يا صاحبَ التاجينِ والأرضينِ –

والدنيا الكَبيرةْ

على يميني مدخنةْ

وعلى يسارى مداخن شمَّاءُ

تقدحُ النيرانْ

كعجائزَ يصرخْن في ممشَى الجنَازِ

بلا اتزانْ

لن يُغتفرْ

منع الكلامْ

يا فارسَ الشرَفِ الهُمامْ

(7)

ابدا.. عيناك تحلمُ في الليالى القاهرَةْ

والبردُ يجلِدُ في شوارِعكَ الرهيبةِ

كلَّ زهرة مثمرةْ

والريحُ تجرفُ عن سطورى

كلماتي الشاعرةْ

وأنا مازلت أكتبُ عن هواك

من جديدٍ

أغنياتي الصَّابرةْ

1967

الدود

الدودُ والفلاحُ شقَّا الأرضَ
فانبلَجَتْ من الشقِّ
أنوارُ الصبَاحْ
الشَّمسُ باركتِ السَّواعدَ
والسَّواعدُ منذ مينا عارياتٍ
ليسَ يسترها من اللفحِ وشاحْ
يا وجهَه المحفورَ فى صَخرِ الكفاحْ
انهضْ
الدوحُ يصمدُ للعواصِفِ لا يلينْ
أمامَ إعصارِ المتاعبِ والجراحْ
اصمُدْ

فقد غمرَ الضياءُ الدارَ

والدنيا الصغيرةَ والعيالْ

الشمسُ باركتِ الغلالْ

شبَّت إلى السَماواتِ كالراياتِ

أعناقُ الرجالْ

وانحنتْ هِممُ الرواسى

من عبءِ سنواتِ الكلالْ

والكدِّ والإجهادِ فى دنيا الزوالْ

دنيا زوالْ

بالدارِ

فى صندوق جَدِّك الكبيرْ

من ماتَ بالتعذيبِ فى حَفرِ القنالْ

وورثْتَه..

أنّى توفَّى أبوكَ فى حربِ القنالْ

ثوبٌ من الكتانِ أبلتْهُ السنينْ

يلفُّ ما امتلكَ اليمينْ

الحقلَ

والناعورَ

والكوخَ الصغيرةَ

والغلالْ

انهضْ

فالدنيا ترقصُ للمُنى

عزفتْ موسيقات الآمالْ

وتهلَّلتْ للفجرِ تباشيرُ النوالْ

....

انهض

فهزَّ الرأسَ..

دمدمَ دمدمةْ

روحى قَنوطٌ معتمةْ

التوتُ يؤمنُ

والنخيلُ كم ارتوى

من مَدمعِ الجدِّ الشهيدْ

ومن جبين والدى

من سَاعدى المجهدِ من عَزْقِ الترابْ

من صدرى المتفصِّدِ

جَدّى

وجدُّ الأبِ كم بالا عَلى هذا الترابْ

وعلى شفاههما

على جفنىْ أبى

غَاطَ الذباب

وأهالَ من أقذارِ هذى الأرضِ

فوق عاتقىْ أبى

وحفرت لحدَه قربَ مقبرةِ الجدودِ أقاربى..

وتدوسُ أقدامى ديدانَ الأرضِ

تسحقُها بحقلى المتربِ

من قبل داست مثلَ أقدامى

دِيدانَ الأرضِ أقدامُ الأبِ

والثورُ كم أهبَهُ سَوطُ الجدِّ

فاشتغلَ الناعورْ

أطاعَ كلَّ رغائبي

ولم يزلْ سَوطي يحثُّ الثورَ

في الظهرِ اللعينِ اللاهبِ..

وأصابعي بصَمتْ أنامِلَها على بصماته

المرحوم جدِّي أو أبي

الأرضُ بنتٌ من بنات الخيرِ

زُفَّت لي

وربّاها أبي

جدي اكتراها بالمشقَّةِ والتعبْ

بالكدِّ والإجهادِ في دنيا زوالْ

كالجدِّ نشقَى باليمينِ وبالشِّمالْ

إنْ نحصدِ البرسيمَ

أو نذرو الغِلالْ

وحُجورنا ملأى بتيلِ القُطنِ

أو بصْقِ اللطعْ..

ويكوَّم المحصولُ تبرًا

قد جُمِعْ

يأتى الغفيرُ مع الدرَكْ

واللصُ والوالى وكوكبةُ الملِكْ

ونظلَّ مستندينَ نمضُغُ فى كَلالْ

دُنيا زوالْ

....

وهمَمتُ أقطفُ زهرةً بيضاءْ رصَّعها الندَى

فارتاعَ منزعجًا

فمانعتُ اليدا

فى الصبحِ حين يمرُّ سيدنا الجديدْ

بحقيبةٍ صفراءَ يُتخِمُها الورقْ

ورقٌ كئيبٌ أصفر

موسومٌ بالختم التليدْ..

ختمُ السلاطينِ العتيدْ

يُملى بأمرٍ قَاطعٍ نحفظُه من كرِّ السنينْ

حين يطويكَ مع النورِ الظلامْ

وتهلُّ أرتَالُ القَوافلِ شَاحناتٍ

شاحناتْ

انقلْ إليها ما جمعتَ دونَ نقصٍ

كلَّما نادَتْك هاتْ

وامهر ببصْمتِكَ الورقْ

واكتب بقلبٍ مؤمنٍ

دنيا زوالْ

1964

الفهرس

(.....) 5
موتُ حارسِ بوابة 7
صراعُ الأجيال 21
الزهورُ تتفتحُ أوائلَ الربيع 27
الرغبة 35
أجنحةٌ وسلاسل 39
الحبيبة تخشى الوحدة 45
سنحيا غدًا 49
بدايات الزوال 57
الرجالُ فى المساء 63
المنبع 69
الانفصال 75
حنين 81
حكايةُ البنتِ الحلوة 85
مذكرات شهر نوفمبر 89
الدود 101